

مناقشة

وان يعينها تعيينا مضبوطا وان لا يجيب بطريقة اجمالية كما فعل في نقده
وقبل ان اترك السيد الناقد ليبحث عن هذه الاخطاء العروضية
اقول له : ان القصيدة مكتوبة على تفعيلة (الخبب) وهي (فعلن)
بتحريك (العين) او بتسكينها مثل قول شاعرنا مصطفى خريف : العهد
هلم تجدده ... فالدهر قد انبسطت يده فعلن فعلن فعلن فعلن ...
فعلن فعلن فعلن .

هذه طريقة من الطرق التي يكتب عليها (الخبب) في السمر
القديم الى جانب (فاعلن) التي يجوز فيها حذف الالف فقط . وبما
ان (الخبب) قد تداركه الاخفش على استاذه الخليل فانه لم تقع
دراسته دراسة كافية تبعا لقلة النماذج التي كانت بين يدي الاخفش
(ثم جاء العصر الحديث فاذا نحن نحدث تنويما جديدا لم يقع فيسه
اسلافنا ذلك اننا نحول (فعلن) الى (فاعلن) وليس في الشعراء ،
فيما اعلم ، من يرتكب هذا سواي ، بدأت فيه منذ اول قصيدة حرة
كتبتها سنة ١٩٤٧ ومضيت فيه حتى الان . هذا مثلا مطلع قصيدتي
« لعنة الزمن » من الخبب :

كان المغرب لون ذبيح
والافق كآبة مجروح
وزن الشطر الاول فيه هو :
فعلن فاعل فاعل فعل

وقد جرت اشطر كثيرة في القصيدة على هذا النسق خلافا
للقاعدة العروضية (١)

وتقر الشاعرة بانها وقعت في هذا الخروج عن القاعدة دون عمد
منها وبعد تساؤل ادركت ان ذلك تطوير سرت اليه وهي غافلة ...
وتقول في النهاية انه ليس من حفاها ان تثبت تفعيلة جديدة في بحر
عربي ضبط منذ عصور طويلة ... كما انه ليس من حق اي شاعر ان
يفعل ذلك . انما يفر القواعد القبول العام (٢)

واحب ان ابشر الشاعرة نازك الملائكة بان شاعرنا مصطفى خريف
رحمه الله كتب سنة ١٩٦١ قصيدة طويلة سماها (الملحمة) اجاز
لنفسه فيها هذا الجواز وهو (فاعل) الذي لم يفره العروضيون
القدماء ، ونجد هذا (الزحاف الجائر) في اكثر من عشرة ابيات مثل
قوله :

بنزت قريبا ستظهر
وفضاء الصحراء يحرر ...
دما في بنزت مفدر ...
وتعالب قامت تنتم (٣) ... الخ الخ

وبديهي ان الشاعر خريف لم يكتب قصيدته هذه ولم يجز فيها
هذا الزحاف تحت تأثير ملاحظته الشاعرة نازك الملائكة لان كتابها وصل
الى تونس بعد كتابته لقصيدته باكثر من سنتين (٤) وقد اطلع عليه بعد
ذلك واعرب لي عن إعجاب به .

والى الشاعرة نازك الملائكة والى الاستاذ رجاء النقاش اقول ايضا
ان الاشطر الاربعة التي اختارها الناقد من قصيدة جمال الدين حمدي
(قبضة الحديد) وقال عنها : (وقد تأثرت جدا بقول الشاعر يغاطب

- (١) قضايا الشعر المعاصر . لنازك الملائكة طبعة اولى سنة ١٩٦٢ -
ص ١٠٩ والقصيدة المشار اليها من ديوانها قرارة الموجة طبعة
ثانية ١٩٦٠
- (٢) المرجع السابق - ص ١١٠
- (٣) ديوان شوق وذوق ص ٢٨٥
- (٤) ارسل اليّ الصديق الدكتور رشاد الامام نسخة من قضايا الشعر
المعاصر لنازك من بيروت بتاريخ ١٦ / ٤ / ١٩٦٢ ووصلت اليّ
تونس في ٢٦ / ٤ / ١٩٦٢ بطلب مني لان نسخ هذا الكتاب لم تصل
اليّ تونس .

حول ملف الادب التونسي

الى الاستاذ رجاء النقاش

بقلم نور الدين صمود

كلفت مجلة الادب السيد رجاء النقاش بنقد الشعر الذي نشر
في العدد الرابع من سنتها الحالية ضمن (ملف الادب التونسي)
فوقف من اصحاب تلك القصائد موقف الاستاذ من تلاميذه المبتدئين ..
اذ اشتمل (توجيهه) على كثير من النصائح الابوية المتعالية امثال :
كان عليه ان يفعل كذا وكذا ... ولو تخيل كذا وكذا لكان احسن ...
وانمى ان يهتم اكثر واكثر بكذا وكذا ... وان هذا الشاعر لديه كذا
وكذا ... فليتقدم الخ الخ

والى جانب ذلك فان نقده لم يخل من الكلام الذي لا يليق ان
يصدر عن رجل الشارع فضلا عن اديب نافذ مفكر ... مثل قوله :
نثرية رديئة ... ومبتذلة .. وكلام سخييف ... وفكر سخييف ...
والسوقية .. والابتذال الفكري الخ الخ .

ويبدو ان السيد الناقد قد شعر بعدم لياقه بعض هذه الالفاظ
فقال : (ومعتدة لهذه الالفاظ الفاسية) فلعل السيد الناقد يفصد :
الالفاظ البذيئة او غير اللائقة (اما القسوة فلها مكان اخر) . وانا
لا اريد ان اناقشه في نقده فهو حر فيما يرى ، فله ان لا يرضى عن
بعض او جميع ما نشر في ذلك الملف من شعر ، وله ان يقول عنه مسا
يشاء من الكلام (الفاسي) او اللين ... فليست لدينا مقاييس ثابتة
في ميدان (النوق) اذ يمكن له ان يكتب الصفحات الطوال من الكلام
(الفاسي) عن تلك القصائد ثم يمكن ان يكتب عنها غيره الصفحات
الطوال من الكلام (اللين) .

لكن هناك - من حسن الحظ - الناحية العلمية التي لا يمكن ان
يتناقش فيها اثنان دون الوصول الى نتيجة حاسمة . فقد قال السيد
رجاء النقاش عن قصيدتي (في دروب الازمنة العادمة) في جملة ما
قال - « ... كما ان لها اخطاء عروضية واضحة مثل قول الشاعر :

لم تاخذ من اوروبا
الا لبس الميني جيب

او لبس المكسي جيب .. الخ ...

وقال كلاما شبيها بذلك من مقطع آخر نقله محرفا .

فاذا كنت لا اريد ان اناقشه في بنية الآراء التقييمية النوقية
حول محتوى القصيدة فلانني لا استطيع ان اتحكم في نوقه وفهمه ...
لكنني استطيع ان اناقشه في المسائل العلمية ، واطالبه بان يبين لي
اين هذه الاخطاء العروضية الواضحة ؟ سواء في المقطع الذي ذكره او
في بقية مقاطع القصيدة .

واكبر الظن ان السيد رجاء النقاش سيسكت ولا يجيب لانه لن
يجد هذا الخطا الذي توهمه ... واذا تبين - بسكونه - عدم صحة
رايه في هذه الناحية العلمية فاني استطيع ان اعتبر ان جميع آرائه
الاخرى غير صحيحة ايضا فياسا على هذا الرأي الذي يمكن اخضاعه
للعلم .

وارجو ان يذكر هذه الاخطاء العروضية بطريقة التقطيع العروضي

قلمه :

اكتب ، لا تأبه بنزيفي
... جرحي قد الفته يدي
اكتب ، ان نفدت اوراقي
ما احلى الخط على الكبد

ان هذا الشاعر الصديق قد كتب كعادته بسليقته ، لا بالاعتماد على العروض ، واستعمل في هذين البيتين (فاعل) اربع مرات دون ان يرى في ذلك اي خلل ، مثله في ذلك مثل نازك ومصطفى خريف .. واحب ان اذف هذه البشرى الى انشاعرة الناقد نازك الملائكة التي قالت ان الشعراء القدماء لم يستعملوا في شعرهم (فاعل) وانها اول من استعملها في الشعر الحديث ، فاقول لها ، والى الاستاذ الناقد رجاء النقاش ايضا ، بان شاعرنا التونسي ابا الحسن الحصري القيرواني صاحب الفضل الاكبر على بحر الخبب او المتدارك بقصيدة :
يا ليل الصب متى غده
اقيام الساعة موعده
التي عارضها : شوقي والشابي ، ويبرم التونسي وجعفر ماجد واسماعيل صبري وبشارة الخوري ورشيد ايوب ومسعود سماحة والامير نسيب ارسلان وقيصر المفلوف وفوزي المفلوف وخير الدين الزركلي وولي الدين يكن والزهاوي وشطرا عيسى اسكندر المفلوف .. وغيرهم وغيرهم

اقول ان الحصري قد استعمل (فاعل) هذه في قصيدة اخرى على الخبب طالها :

اغن الاغريض ام اليرد
ضحك المتعجب من جلدي

فقال :

يا هاروتي الطرف ترى

فعلن فعلن فعلن

كم لك نثبات في العقد (ه)

فاعل فعلن فعلن

فارجو ان تطمن الشاعرة الناقد الى وجود هذا الجواز منذ عهد الحصري المتوفي سنة ٤٨٨ هـ اي منذ القرن الخامس للهجرة . وهكذا يتضح ان دخول (فاعل) في الخبب امر طبيعي ، وعدم وجوده بكثرة في الشعر القديم عائد الى انه لم يكتب شعر كثير عليه لذلك اهمله الخليل ... ولو توفرت النماذج لاكتشف الخليل والافخش وغيرهما وجود (فاعل) في هذا البحر .

ومن ناحية اخرى فانه لا تكاد تخلو قصيدة (خبيبة) حديثة من دخول (فاعل) فيها سواء كانت القصيدة (عمودية ام حرة) . فتزار هباني نشر في الخمسينيات ديوانه (قصائد) وكان مطلع (القصيدة الشريفة) قوله :

مطر مطر وحببتها معها ولتشرين نواح

فعلن فعلن فعلن فعلن فاعل فعلن

وقد اكثر الشاعر صلاح عبد الصبور من استعمال (فاعل) هذه خاصة في مسرحيته (العلاج) وقد اشار بدوره الى ذلك في المقدمة او في المؤخرة لكنه كان يقع في زحاف غير مقبول وهو انه يجعل اثر (فاعل) (فعلن) بتحريك العين وهكذا يجتمع خمسة متحركات وهو امر لا يجوز في العروض ولا يقبله النوق الموسيقى ...

وعندما نشرت ، منذ بضعة اشهر ، في مجلة الفكر التونسية قصيدتي : (من احرق روما ؟) نبهت الى وجود (فاعل) في هذه القصيدة وهممت بان اقل عند نشر قصيدتي (في دروب الازمنة القادمة) لكني قلت في نفسي ان معظم ، اوكل ، شعراء (الاداب) يستعملون هذه التفعيلة فلا فائدة في هذا التنبيه (٦) .

(٥) ابو الحسن الحصري القيرواني - جمع وتحقيق وتعليق الاستاذين محمد الرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى . نشر مكتبة النار - تونس سنة ١٩٦٣ .

(٦) نبهت الى هذا الجواز في كتابي تبسيط العروض

فلست ادري بعد هذا كله لماذا احس السيد الناقد في قصيدتي بخلل عروضي واضح ... فهل كان يحس به في قصائد الاخرين وسكت عنه ام ماذا ؟

هذا اذا كانت الاخطاء العرضية التي يشير اليها هي التسيب اطنبت الحديث عنها ... اما اذا كانت غيرها فارجو ان اعرفها عن طريق السيد الناقد بطريقة واضحة جلية .

وملاحظة اخيرة : احب ان احيط السيد الناقد علما بان صاحب هذا الرد او التوضيح كان قد الف كتابين في العروض اولهما بعنوان (تبسيط العروض) صدر ١٩٦٩ وتانيهما بعنوان (العروض المختصر) صدر ١٩٧١ وقد فررت وزارة التربية القومية ادراج الكتاب الاخير ضمن الكتب المدرسية لتدريس هذه المادة في المعاهد الثانوية .

كما احب ان احيطه علما بان الاستاذ العروسي المطوي الذي رماه بكثرة الاخطاء اللغوية في قصيدته ، من خريجي الزيتونة ومن اساتذتها الرموقين في عهد ازدهارها واذا كان في قصيدته شيء من الخروج عن الاساليب الموروثة فذلك لا يعزى الى عجز او عدم معرفة باللفة ، كما تبادر الى ذهنه ... بل هو يعتمد ذلك لاسباب ليس هنا مجال ذكرها .

وقل مثل ذلك بالنسبة للشاعر جعفر ماجد الذي لم يفهم السيد الناقد ابعاد وخلفيات قصيدته وظن انه شاعر يكتب عن صحايا نهر الميكونغ بصورة مباشرة ... في حين انه يتخذ هذا الموضوع مطية لتناول قضايا موجودة في بلادنا جميعا ... ولا يريد ان يهتم بقصة اي واحد من هؤلاء الصحايا بصورة مباشرة ... وهو في غنى عن هذه الاقتراحات التي تفضل بها السيد الناقد ، واضيف بان الشاعر جعفر ماجد يدرس الادب والنقد في الجامعة التونسية ...

وليست هذه التوضيحات حول هؤلاء الاشخاص الثلاثة للرفع من قيمتهم ... فالشعر ابد ما يكون عن هذه الاعتبارات .

وامل ان يكون قد وضحت ، بهذه السطور ، بعض ما كان يدور في خلدي اثناء الكتابة .

والى اللقاء مع جواب السيد الناقد رجاء النقاش ✖

نور الدين صمود

تونس

✖ اثر الانتهاء من كتابة هذا الرد اطلعت على تعليق الدكتور سهيل ادريس على قصائد الامسية الاولى من مهرجانات المربد فاذا به يقول معلقا على قصيدة العاصمي ، ص ١١٣ العدد ٥ : « ولعل الشاعرة - التي نحيتها هنا - ان تعمل على تجنب بعض الاخطاء اللغوية في مثل قولها :

حزت ماساة الاعوام العشر ايديهم ، فقات اعينهم وصحيحها طبعها (الاعوام العشرة) فاذا قيل ان البيت ينكسر ، قلنا انه ينصلح بتعديل يسير : حزت ماساة الاعوام العشرة ايديهم ، فقات اعينهم كما ان قولها :

لما مات ابي كان لزاما ان استدعي لولائم الحزن .
هو غير مستقيم ، ويستقيم بحذف اداة التعريف من (الحزن) فيصبح :

لما مات ابي كان لزاما ان استدعي لولائم حزن .

ذلك ما قاله الدكتور سهيل ادريس

واذا تأملنا هذا الشعر قبل الاصلاح وبعده نجده قد اشتمل على (فاعل) مرتين في السطر الاول وثلاث مرات في السطر الثاني ولم يشعر الدكتور سهيل ادريس باي خلل في الوزن واقدم على اصلاح الوزن في السطر الثاني رغم انه لم يعرف بكتابة الشعر ودفعه حسه الموسيقي السليم الى ذلك الاصلاح . فما رأي السيد اتناقد بعد هذا كله !!

تعليق على « التجربة الشعرية الجديدة » ! بقلم فرانسوا باسيلي

رغم ان الاجابة تكاد ان تكون معروفة ، وهي « اننا ، على الاغلب ، سنظل نفضل هذا الى الابد . » فان الاسئلة السخيفة لا تكف عن ان تطرح نفسها علينا باستمرار :

— متى سنكف عن الندب والبكاء على حزيران والتمسح به في اشعارنا وقصصنا ؟

— متى سنكف عن الثرثرة و « نفضل » شيئا ؟

— متى سنكف عن دفن رؤوسنا في الرمال والهلوه باوهام طائشة تلهينا عن مواجهة العالم الحقيقي ومعايشة الزمن الحقيقي ؟

— متى ؟ متى ؟ متى ؟ متى ؟

واساهم باضافة سؤال سخيف آخر الى قائمة الاسئلة السخيفة :

— متى نضع الشعر ، والنقد ، والموضوعية المجردة ، فسوق العلاقات الشخصية والمجاملات الممزقة ، او التي يجب ان تكون ممزقة ؟

هذه الاسئلة سخيفة لان اجاباتها ، كما قلت ، تكاد ان تكون معروفة .

ومناسبة اضافة السؤال الاخير هو نشر تلك « التجربة الشعرية الجديدة » للاستاذ محمود امين العالم في عدد الاداب الاخير (السادس) نشر هذه التجربة الشعرية الجديدة في الاداب هو ، باختصار شديد ، فجيعة . فجيعة للشعر ، وللشعراء ، وللاستاذ محمود امين العالم ، وللاداب ، وللقراء جميعا . وليست الفجيعة فقط في انه لو ارسلت هذه « المادة الشعرية » للاداب ، او لاية مجلة ادبية اخرى ، موقع عليها باسم غير معروف ، مثل « عبد الصمد الاحادي » مثلا ، فان المحرر لن يضاج سوى لقراءة بضعة سطور ليعرف ان الكاتب مبتدى يحاول ممارسة الشعر وان انتاجه لم ينضج بعد ، ولا يكون مصير مادته الشعرية سوى الاهمال .. بل الفجيعة الاتصى هي انه بمجرد ان صرح الاستاذ العالم بانه كتب هذه التجربة الجديدة ، ودخل هذا التصريح الى « الدوام » الادبية ، فانه يصبح من المستحيل منع هذا التصريح من التحول الى « وجود » يدور في الدوام متخذا مكانا وزمانا وحجما ووزنا .. فينشر في مجلة ادبية ، ويتسابق القصاد الاصدقاء في تفسيره وشرحه ، ثم يصدر في ديوان ، وتعقد لنقده الندوات الاذاعية .. وكل هذا بسبب ان الذي كتب هذه التجربة الشعرية هو الاستاذ محمود امين العالم وليس عبد الصمد الاحادي . وهذه الكارثة هي السبب في اضافتي للسؤال الاخير في قائمة الاسئلة السخيفة . لقد قال لنا الاستاذ العالم في مقدمته لتجربته كيف انه اطلع عليها الدكتور محمد النويهي . وراينا كيف ان ناقدا وباحثا ادبيا كبيرا كالدكتور النويهي يضع المجاملة فوق الشعر ويقول للاستاذ العالم: هذا ايقاع موجي ! ثم ينصح بان لا ينشرها في ديوان دفعة واحدة والكتفاء بنشرها قصيدة قصيدة ، بدلا من النصيحة التي كان مفروضا ان يقدمها له ، وهي ان ينسى محاولة اشعار تماما . ويقطع عنها الى الابد . (افضل كثيرا اتهام الدكتور النويهي بمجاملة صديقه على حساب الشعر ، على اتهامه بانه يرى فعلا ان هذه الكتابة لها قيمة ادبية .) ثم راينا كيف ان مجلة ادبية « كالاداب » بكل نقلها الادبي ، تقدم هذه المادة الشعرية بترحاب خاص ، تحت عنوان سخيف جدا : « تجربة شعرية جديدة » ، طالبة من الشعراء والنقاد والقراء التعليق عليها () .

وهكذا نزلت نريت على ظهور بعضنا بعضا ، متساهلين مجاملين

() نرجو الكاتب ان يعيد قراءة سطر التعليق الذي نشرناه مع

(القصيدة) ... (الاداب)

بمتسمين . واضعين ادبانا وشعرانا وكتابتنا الكبار فوق كل شعر وكل نقد وكل خطية . فما دام الكاتب او الشاعر قد آتت عبقرته مسن قبل ، يصبح كل ما يكتبه مقدسا غير قابل للتشكيك او الطعن . يثبت الكاتب في بلادنا نفسه مرة واحدة . يستطيع بعدها ان يسترخي ويكتب لنا من موقعه المقدس . ليس عليه ان يفاخر بنفسه في كل مرة يكتب فيها لنا ، نحن شعب طيب منساجح كريم ، لا نطلب الكثير من ادبائنا وفنانيها ، كل مسرحية جديدة يكتبها الحكيم هي مسرحية جيدة . قضية مسلم بها ومفروغ منها ، آمجتون انت حتى تظن ان مسرحيته « سوق الحمير » مثلا في منتهى الضحالة ؟! امعقول ان يكتب صلاح عبد الصبور او فدوى طوقان قصيدة جديدة .. رديئة ؟! الواضح ان علاقتنا بادبائنا الكبار هي بنفس نمط علاقتنا بزعماننا وانبيائنا .. تاليه وتنزيه وطفرف مرضي عاضفي مسكين . وانصباغ كامل وقياب كامل للشك ، والملاحقة ، والاتهام . والحساب . هل يجب ان نتذكر ان الكاتب المعقري انسان ايضا ؟ وانه كما يخطيء في الحياة يخطيء في الادب . وان كل المبدعين في العالم وفي التاريخ لهم اعمال تستغرب لدى تفاهتها بجانب اعمالهم التي تأسرنا عبقرتها ؟ لماذا اذن نتردد في ان نقول للاستاذ العالم ببساطة وحب ان تجربته الشعرية الاخيرة غير موفقة وانه واضح انه ليس شاعرا . « وان هذا طبعيا لا يغير من حقيقة انه كاتب كبير » . حتى هذه الجملة الاخيرة لا يجب ان نقولها له لانها يجب ان تكون بديهة . هل يتالم الاستاذ العالم اذا قلنا له هذا ؟ ربما . هذا طبعيا يختلف من انسان لآخر . لكن الاسم حقيقة من حقائق الحياة التي لا فرار منها . لماذا لا نواجهها بصدق في موقف كهذا ؟ هل نقدم الشعر ذبيحة لكي يظل رضانا عن بعضنا بعضا متبادلا وحارا ؟ يمكننا ان نفضل هذا بسهولة اذا كان هذا ما يلد لنا . لكن كيف اذن نتباكي بعد ذلك على الفقر الابداعي لدينا وعلى ركافة معظم ما نقراه وكتبه ، بجانب ترفله وفقده للصدق . هل لنا حق بكساء انفسنا ؟

المشكلة هي ان تساهلنا مع انفسنا وتربيتنا على ظهور بعضنا لا يجعل العالم بالتالي يتساهل معنا ويربت على ظهرنا . كل ما يحدث اننا نظل مسترخين في خدر مجاملاتنا اللذيذة السهلة بينما يهرق العالم خاطفا حادا وقاسيا نحو المستقبل . وتزداد المسافة بيننا .. ويزداد الزمن . نحن في كارثة مستمرة . نفقد اراضينا باستمرار . نتقلص ونصغر في الحجم والوزن . هل نحتاج الى كارثة اعظم واتصى لكسي نواجه انفسنا بقسوة وننطق كل شيء باسمه الحقيقي ؟ النشر الرديء هو نشر رديء هذا هو اسمه . وليس تجربة شعرية جديدة . لمجرد ان كاتبه هو محمود امين العالم . عبت ان احاول نقد ما كتبه الاستاذ العالم نقدا فنيا . النثرية والاطالة والتقرير والتصريحات وال « ثم » والافكار المجردة و « يا للكارثة » و « يا للعار » .. و « يا للخلج » وعشرات التراكيب النثرية المجردة لا تمنح هذه الكتابة اية فرصة لاعتبارها شعرا . المسألة ليست مسالة وزن او تفصيلة او قافية كما يظن الاستاذ العالم . المسألة ان ما كتبه لا علاقة له بالشعر . فلماذا لم يقل له الدكتور النويهي ذلك ؟ لماذا لم تقله له « الاداب » ؟ سمعت مرة الاستاذ رجاء النقاش يشكو من انه على الاغلب سيخسر صداقة الاديب او الشاعر الكبير اذا هاجم عملا من اعمالها بقسوة . لا شك انه ليس معقولا ان يضطر الناقد الى معاداة ادباء وشعراء مجتمعه . فالى متى سنظل لا نعرف فرقا بين من يثقتنا ومن يكرهنا . الى متى نسايوي بينهما في حساسية وطفولة ؟

متى سنشعب عن المرافقة والانفعال ، ونختبر قسوة ولذة النقد الفني الخالص . والابداع الخالص ؟

متى ؟ متى ؟ متى ؟ متى ؟

ها انذا اعود الى ترديد المزيد من الاسئلة السخيفة التي بدأت بها الكتابة السخيف يقمر كل شيء .

فرانسوا باسيلي

نيويورك

